



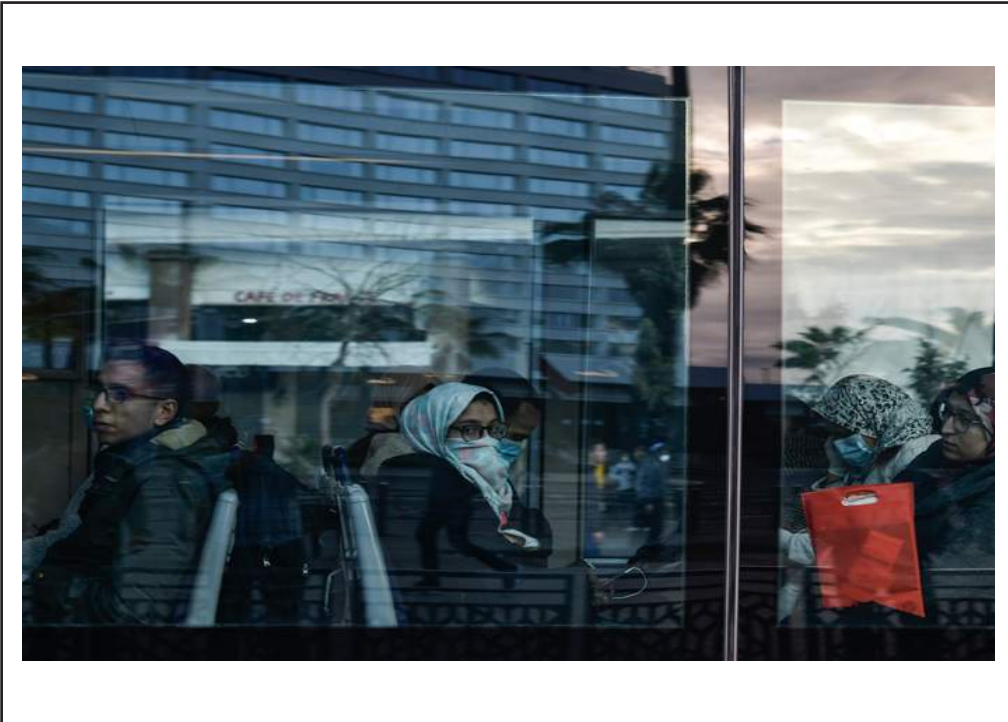
# دفاتر

مدير النشر: محمد سموني

دفاتر

العدد #4 يونيو - غشت 2020

## مساهمات وحوارات حول الجائحة



9 772658 810980

مساهمات وحوارات حول الجائحة

يونيو – غشت 2020

© صورة الغلاف: ياسين التومي

## الوباء، العلاقة الاجتماعية ونمط التفكير

حسن رشيق

لقد عانيت هذه الترددات خلال اجتماع عمل. الزميلة التي تعيش في الخارج لم تتواصل مع أي شخص، لقد اكتفت، على عكس عاداتها، بابتسامة تعكس إحراجاً معيناً. يرحب بي زميل شاب من خلال التريبت على كوعي الأيمن. فاليمين كقيمة لا يزال قائماً مع ذلك. والبعض يسلمون علي بمد يدهم إلي، وآخر كان شجاعاً وقام بتقبيلي قائلاً: “أنا مغربي”.

بالطبع، تلاشت لحظة التردد هذه بعد أسبوع: طلبت السلطات العامة المختلفة من الجميع ألا يتصافحوا بعد الآن (حتى في المسجد حيث جرت العادة على فعل ذلك بعد صلاة الجمعة) واحترام الابتعاد الاجتماعي. كان لا بد من ذكر القاعدة بشكل صريح وكتابتها لتجنب أي سوء فهم. يجب على الجميع أن يكونوا على علم بالقاعدة الجديدة، ويقبلونها، ويطبقونها.

وفي هذا الصدد، لا بد من القول إن التدابير المتخذة، التي هزّت المعتاد، كانت تدريجية: تعليق الدراسة، مباريات بشبايك مغلقة، حظر التجمعات التي يفوق عدد المشتركين فيها 50 شخصاً، تعليق المظاهرات الرياضية والثقافية، تعليق الصلاة في المساجد، تقييد الحركة، الحجر، تعليق المواصلات بين المدن...

إن ما يصعب على الناس اجتماعياً هو تعليق القواعد المعتادة، والتي تعتبر معالم لهم. تعليق اللحظات التي تفسد حياتهم ودراساتهم وعملهم والمسجد والقهوة وزيارة الأقارب والأصدقاء والتمارين البدنية ومشاهدة مباراة لكرة القدم. يوم الجمعة لم يعد يوم الجمعة، ولا يوم الأحد. لم تعد عطلة “نهاية الأسبوع” لها معنى. لم يعد الوقت إيقاعياً. بالنسبة للأغلبية، تتبّع الأيام بعضها البعض بدون رأس أو عاقب.

ما هو عادي يصبح خارقاً للعادة. ليس من السهل القبول بذلك اجتماعياً. ويتطلب الأمر جهداً فردياً

من غير الممتع الكتابة عن شيء غير مألوف، والأنكى من هذا جائحة تدمّر العالم. لكنني لا يمكنني أيضاً أن أفوت نوعاً من الشهادات الساخنة حول تأثيرات كوفيد-19 على العلاقة الاجتماعية والحياة اليومية للناس ونمط التفكير المصاحبة لها.

هذه أفكار مؤقتة وجزئية طرحتها كمواطن يحاول أن يتبع - ولا يلاحظ بالمعنى الأنثروبولوجي - ما يحدث، أي مواطن يحاول أن يكون منتبهاً لما يحيط به، مع حساسية أنثروبولوجي.

### العادي يصبح خارقاً للعادة

لنأخذ حياة الناس اليومية، وبما في ذلك حياتي. في الوقت العادي، لدينا عاداتنا. نحن نتولى أدواراً اجتماعية؛ دور اجتماعي يفهم على أنه نسق للتوقعات، الحقوق والواجبات. إنه يشير إلى ما نتوقعه من الآخرين وما يتوقعه الآخرون منا. إنه يساعدنا على عدم طرح أسئلة على أنفسنا طوال الوقت لمعرفة كيفية التصرف.

ترتبط بعض الأدوار نسبياً بالعلاقات الاجتماعية المنتظمة (الأم، الأب، المعلم، الطالب)، والبعض الآخر بالعلاقات العابرة (سائق التاكسي، الزبون). إنها مرتبطة بمفاهيم مختلفة، تقليدية، حديثة، ليبرالية، استبدادية. باختصار، نحن عادة نعرف التوقعات والمعايير مسبقاً ونحاول تليبيتها. وبدون ذلك، ستكون الحياة سلسلة من سوء الفهم.

في أوقات الأزمات، التغيير المؤلم، كما هو عليه الحال الآن، حيث تكون القطيعة مع جزء كبير من توقعاتنا المعتادة. فالقطيعة التي نعيشها تزيد من تعميق الأزمة. بعد تفشي الوباء، انقلبت حياتنا اليومية رأساً على عقب، وفرضت قواعد جديدة. كانت هناك مرحلة انتقالية، مليئة بالتردد وسوء الفهم، ورفض هذه القواعد، أو على الأقل التحايل عليها. لمدة عشرة أيام، فمن بداية مارس، ترددتنا في السلام بمد اليد، القيام بالتقبيل أم لا.

وجماعياً للوصول إلى ذلك. لكن الصعوبة الكبيرة لا تكمن فقط في القطيعة من حيث الأفعال السلبية. والأصعب هو تبني معتقدات وسلوكيات جديدة في مثل هذا الوقت القصير.

نعلم أن المعتقدات تستغرق وقتاً حتى يتم قبولها، وأن يتم استيعابها، وتعميمها، لتتوارى. ما نطلبه من الناس هو الاعتقاد في الحال. في بداية الحجر، واصل البعض لعب لعبة "الداما" في ساحة عمومية، وكرة القدم في مكان فارغ...

### حين يطمس البراغماتي الرمزي

السؤال الذي يطرح نفسه هو كيفية التواصل لوضع معايير جديدة وقواعد جديدة في أسرع وقت ممكن وبأكبر قدر ممكن من الفعالية: اغسل يديك بشكل متكرر واحترم التباعد الاجتماعي في بلد حيث جزء كبير من آداب التحية عنده يمر عبر اليدين والخدين والمعانقة .

الأوامر، المحظورات، التفسيرات التي يقدمها الأطباء، العلماء، الفنانون، الرياضيون؛ يبدو أن المعايير الجديدة لا تستمد شرعيتها من أقدميتها ولكن من أساسها البراغماتي. عليك أن تقبل الحجر الصحي وسلسلة العلاقات الاجتماعية التي تم تكسيورها. إن هيمنة البراغماتي هو الذي يطمس الرمزي.

يجب التأكيد على أنه ليس كل شيء قطيعة. بل لوحظت أيضاً الاستمرارية، وإلا فإن المجتمع سينهار. يمكننا أن نقول حتى أن بعض القيم اكتسبت زحماً: زخم التضامن لوحظ على عدة مستويات. وكذلك لوحظت الإستمرارية السلبية: الإمدادات الأنانية والمفرطة من الغذاء، وعدم الاكتراث بالتعليمات الصحية، وانتشار الأخبار الكاذبة...

### نمط تفكير تجريبي

هناك جوانب من الوباء تدرج تحت التقاليد الأنثروبولوجية، تلك المتعلقة بتمثيلات الأمراض وتفسير المصائب. هناك نوعان من التفسيرات للمحن الفردية والجماعية. الأول يحدد الأسباب خارج المجتمع (الله، القدر، الجنون). والثاني يبحث عن الأسباب داخل المجتمع من خلال تسليط الضوء على التوترات الاجتماعية والصراعات (السحر والعين الشريرة). النوعان الاثنان يصنفان

على أنهما سابقان للمنطق، غير عقلانيان، غيبيان، على عكس المنطقي، العقلاني، والتجريبي.

وأما المصائب المنسوبة إلى الله فلدينا حالتان. في البداية، البشر طيبون، مُستقيمون، والمصيبة التي تُصيبهم ليست سوى اختبار لهم كمؤمنين. في الحالة الثانية، تقع المسؤولية على عاتق البشر وسلوكهم المنحرف. لقد سمعنا هذا النوع من التفسير، بدعم من بعض العلماء المغاربة، عندما ضربت أمواج تسونامي بلدان آسيوية في عام 2004 (متهمون بالبيدوفيليا...).

حالياً، واستناداً إلى البيانات التي لدي، هذا النوع من التفسير هامشي. ففيديو يظهر رجالاً يرتدون زي نساء يغنون ويرقصون مصحوباً بتعليق يتهمهم بأنهم سبب الوباء. فالنمط السائد للتفكير، على الأقل في المجال العام، هو التفسير التجريبي للوباء ووسائل الوقاية منه: العدوى، النظافة والتباعد الاجتماعي والحجر الصحي .

يمكن أن يتعايش نمط التفكير هذا مع نمط تفكير ديني غير حصري: هناك من حث المسلمين بالاستغفار كي يرفع الله هذا البلاء، وهناك من دعا بعض الواعظين القيام بأدعية داخل منازلهم ودون إهمال الاحتياطات الصحية التي توصي بها الدولة. وقد بررت فتوى للمجلس العلمي الأعلى تعليق الصلاة في المساجد بـ"الضرر الفادح الناجم عن الوباء". وهذا يتماشى مع مبادئ ومقاصد معروفة عند الفقهاء مثل الحفاظ على الأبدان. هنا أيضاً يسود البعد البراغماتي، الذي يضع مصلحة المجتمع فوق أي اعتبار.

من الأفضل التواصل مع الناس واختيار الوسائل الأكثر فعالية انطلاقاً من ثقافتهم. كان من الممكن قراءة اللطيف في المساجد لو سمح السياق. وقد لجأ إليها الوطنيون الشباب بعد إصدار الحماية الفرنسية لما سمي بالظهير البربري سنة 1930. في حالة الجفاف، يتم الاحتفال بطقوس محلية لجلب المطر. دعت الدولة مراراً إلى صلاة الاستسقاء الجماعية. والمعروف أن معظم الطقوس التي تروم غاية مادية مباشرة وصريحة لها أبعاد اجتماعية ونفسية كتعزيز التماسك الاجتماعي والحد من قلق الناس.

ومؤسساتها؟ ألمح رئيس الحكومة بنفسه، في مقابلة تلفزيونية، إلى انعدام ثقة المواطنين الذين اعتقدوا، بعد إغلاق المدارس والجامعات، أن الدولة تخفي أشياء عنهم. مرة أخرى، سيكون من الصعب أن تطلب من المواطنين تغيير موقف متكرر إلى حد ما .

ولكن في هذا الوقت من الأزمة، سيكون انعدام الثقة في الدولة ومؤسساتها أمراً صعباً. تتطلب التعبئة الجماعية الثقة في الدولة. على مستوي، لاحظت استمرار عدم الثقة، خاصة فيما يتعلق بخطورة الوباء ووسائل الدولة لمواجهته، ولكن أيضاً استعادة الثقة. المستشفيات التي عانت من انعدام الثقة تقع الآن على الخط الأمامي. وقد وجه لهم السكان تحايا جماعية عدة مرات .

هذا يدل على أن الثقة هي موقف قائم أيضاً على اعتبارات واقعية وبراغمية. الدولة وأجهزتها في قلب الساحة، مرئية في الشوارع، في وسائل الإعلام. إن الدولة في قلب الحدث كفاعل اجتماعي أولاً. بشكل عام تم الحصول على الانخراط الجماعي لتعليمات الدولة.

من النادر في تاريخ أمة، أن تُترجم الأعمال الفردية والجماعية إلى أفعال جماعية على نطاق بلد بأكمله. ومن النادر أن تكون المصلحة المشتركة ذات معنى ملموس وقابل للتحقيق على الرغم من كل الاكراهات. أمل أن نستخلص الكثير من العبر ونتعلم الكثير من الدروس من هذه الأزمة.

لكن اللجوء إلى التراث الثقافى لا ينبغي أن يكون آلياً. في بعض الأحيان هناك معتقدات لها آثار ضارة بشكل واضح. خلال وباء الإيبولا، رفضت القرى في غينيا أوامر الأطباء والكهنة بالتخلي عن طقوس الجنائز، التي تتمثل في تقبيل المتوفى وتناول الطعام بجانبه .

في المغرب، قبل أيام، كانت محاولات نادرة لمظاهرات جماعية قام فيها المشاركون بتلاوة التكبير أو أدعية مهملين مبدأ الابتعاد الاجتماعي. وقد تم حظر هذه المظاهرات فوراً من قبل السلطات المحلية.

#### الإطار الوطني، الدولة الاجتماعية

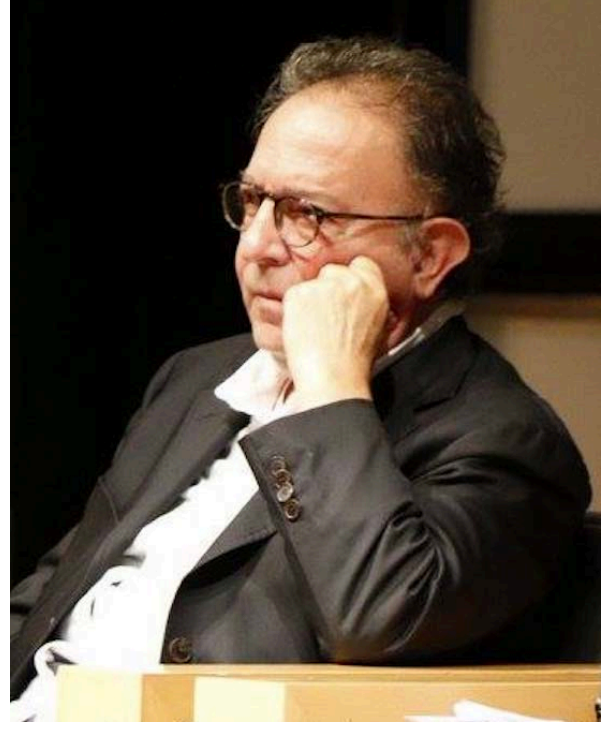
بملاحظة ما يحدث في المغرب وأماكن أخرى، من الواضح أن الدولة الوطنية أصبحت الإطار السياسي الوحيد لإدارة الأزمة. أوروبا انكشفت الدول التي تشكلها. باستثناء المبادرات الأخيرة التي اتخذتها الحكومة الألمانية لإيواء المرضى، وإيطاليا توصلت بمساعدة من الكوبيين والصينيين .

في المغرب، يمكننا أيضاً التحدث عن إطار وطني ودولة اجتماعية. في هذه الحالة، ازدادت صلابة أدوار الموظفين المدنيين والمسؤولين عن تطبيق القانون والأطباء. إنهم معزولون عن عائلاتهم، وهم يعملون على الخطوط الأمامية مع كل المخاطر التي يمكن أن يتعرضوا لها .

لقد تغير دور الدولة بشكل كبير. وعلاقة المواطن بالدولة؟ كيف أصبحت علاقة الثقة في الدولة

## رايموند بن حاييم: الجائحة، لجنة النموذج التنموي والحاجة لاستعادة الثقة.

نقف في هذا الحوار مع رحاميم بن حاييم (رايموند بالنعيم)، أستاذ الأنثروبولوجيا الاقتصادية سابقا في كل من جامعة باريس9 ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ورئيس جمعية جذور التي تم حلها سنة 2019، على مجموعة من القضايا الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بانتشار جائحة كوفيد-19، وكيف كان يمكن للمغرب الاستفادة من النموذج الفرنسي الذي بدأ سلبيا في مواجهة الوباء، وكذلك على الدروس التي على المغرب أخذها عبر إعادة النظر في النموذج الاقتصادي الحالي وكذلك كيف أن هذه



الأزمة الوبائية أصبحت تفرض على اللجنة الخاصة بإعادة النظر في النموذج التنموي إعادة النظر في تركيبتها وأولوياتها...

حاوره: محمد سموني

والثالث وأيضا حزمة من الإجراءات "المنقولة" لمحاربة الوباء في البلاد. والشيء الإيجابي الرابع هو التضامن الاستثنائي لكل المجتمع فيما يتعلق بالفقراء، وكل فرد، يدرك الحالة المؤسفة لنظامنا الصحي.

لكننا سندفع ثمن العدوى والضحايا، وعدم المساواة الاجتماعية والإقليمية، فضلا عن عواقب سياسات من يحكمون لعقود.

كيف نتجنب العدوى عندما نعيش سبعة أفراد في شقة من ثلاث غرف؟ كيف لا ندين اختيار من يدبرون سياسة البلد بالتخلي عن الصحة العامة وخصصتها؟ كيف لا نقلق بشأن التخلي عن هياكلنا الصحية القروية. كيف لا نثير عدم مبالاة الحكومات تجاه مغادرة لمدة عشر سنوات مهاراتنا الطبية إلى الخارج؟ كيف لا نثير

• سنتناول معك خلال هذا الحوار الأسئلة التي شغلنا مؤخرا وسنبداً بالوباء، ما رأيك في الوضع الذي أحدثته هذه الجائحة، هل في نظرك تم اتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك؟

رأبي هو رأي مراقب مثل أي شخص، وهو القلق بالنظر إلى الواقع الاجتماعي لبلدنا، وهذا على الرغم من نجاعة رد فعل المخزن، والتعبئة الاستثنائية للتضامن الشعبي. كان لدينا أربعة أشياء إيجابية: الأول، أولها أماننا نموذجا سلبيا، وهو فرنسا، الذي أظهر كل ما لا يجب علينا فعله. الثاني، هو الإجراءات المنصوص عليها في قرار 20 مارس الصادر عن وزارة الصحة، بتوفير العلاج، عبر استخدام الكلوروكين، الإنتاج المكثف للأقنعة، والتحضير للفحوصات،

السلطوية التي ترافق نشر قوات الأمن والقوات العسكرية؟.

المشكلة الحقيقية هي وقف النشاط الاقتصادي، الذي رفع البطالة القسرية إلى جزء كبير جداً من السكان العاملين، الذين يعيشون على دخل يومي، والقطاع غير المهيكل، والعاملين المياومين.

التضامن الأسري وأيضاً الجيران، تم ترحيله من خلال التعبئة الشعبية الهائلة للجمعيات في توزيع الغذاء ونحن نعلم أن الحجر سيكون له عواقب اجتماعية خطيرة. أيضاً، يجب أن تكون مدة

الحجر محدودة قدر الإمكان. لنأخذ بعين الاعتبار التجربة الناجحة في كوريا الجنوبية وهونغ كونغ، حيث نجد على الرغم من الكثافة السكانية العالية جداً في هونغ كونغ، هذا هو المكان الذي نجد فيه أقل عدد من الوفيات. منهجهم هي تعميم

الكمامات والقيام بالفحوصات بشكل نسقي، الحجر الصحي بالنسبة للسكان التي في وضع صحي هش. نحن قمنا بفرض إجبارية إرتداء الكمامات وحققنا تقدماً كبيراً في الفحوصات.

ومع الحفاظ على التدابير الاحترازية، فإن رفع الاحتواء وحظر التجول في أقرب وقت ممكن، سنتمكن من عودة النشاط الاقتصادي إلى البلاد،

درسان علينا أخذهما: الأول، ظهر بشكل ملح في واضح النهار للجميع، وهو الحاجة الملحة إلى خدمات عامة حيوية ومتأسكة، في الصحة والتعليم والثقافة والنقل. والثاني، والجميع له وعي به، وهو أن الانتشار الاستثنائي والمتزامن لقوات الأمن والقوات العسكرية يبدو في الواقع تمرين عام ضد السكان، مثل ظل تهديد .

• هل ستؤدي، في رأيك، هذه الجائحة إلى إعادة النظر في السياسات الاقتصادية العالمية، خصوصاً فيما يخص عودة الدولة الاجتماعية لتلعب دورها خصوصاً في قطاعات الصحة، التعليم، والبحث العلمي؟

أود في البداية أن أشاطركم وجهة نظري .

العالم بأكمله في حالة جمود لا يمكننا تصديق أن الوباء يتسبب في حدوث فراغ في الأنشطة لم يسبق له مثيل في التاريخ في نصف العالم، يشهد تاريخنا على الأوبئة التي رافقت التغيرات السلالية في المغرب. واليوم، نحن نعيش في زمن طويل من انهيار الإمبراطورية الغربية التي حكمت العالم لخمسة قرون .

في الحقيقة، نحن مذهولون في إدراك أن عالماً آخراً يتشكل أمام أعيننا.

يتسبب النطاق الجغرافي ومدى الانتكاسات في تسريع ما كان في طور التشكل، نهاية العولمة الواسعة النطاق (أو المزدهرة)، الرأسمالية المالية التي تسير في طريق حر، هيمنة النموذج الأمريكي، التعددية، وربما أيضاً الشركات متعددة الجنسيات التي تحكمن في الواقع .

إن مساءلة النموذج الرأسمالي مرتبط باستنفاد النيوليبرالية، القوة الاقتصادية والثقافية للشركات متعددة الجنسيات، التي ترافقت مع تداخل اقتصاديات العالم، ومن الواضح أنها تتهرب من الواجبات المرتبطة بمسؤولياتها ومن إيجاد أنموذج جديد للتفاوض بين الدول والشركات متعددة الجنسيات، دون أي وهم: مناقشة الأفكار في كل الأمور التي كشف الوباء على أنها نقاط ضعف في النظام ، فإن هذا النقاش حول الأفكار لن يكون له معنى إلا إذا انعكس ذلك في ميزان القوى.

إن عودة الدولة الاجتماعية أمر إجباري ومرتل، بين الحين والآخر، بكل تناقضاتها، مع مراعاة عدم المساواة في الدخل والتراب. الأولوية للخدمات العامة، والصحة أولاً، والتعليم، وحماية اجتماعية مفتوحة للجميع، والانتقال كمحور جديد للتصنيع، وعودة السيادة، وإعادة تقييم العمال "غير المهيكليين"، مقدمو الرعاية الصحية، والعاملون في مجال التوزيع،

وعمال النظافة... والعديد من الانتكاسات المتوقعة، فالحجر الصحي يكشف عن بُعد اللاعدالة المتراكمة ويعطي الأمل لإعادة الاعتبار لهذه المهن.

يمكن أن يكون الوباء أيضاً، إذا تم تحويل التبصر والتضامن الجاري في العلاقات السياسية للسلطة، فرصة كبيرة، وهي فرصة استئناف الدولة لتدخلها من أجل تلبية احتياجات الطبقات الشعبية، تلك الخاصة بهزيمة قوة الشركات متعددة الجنسيات، وقوة إنتاج الأعمال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الرئيسية لإنهاء العولمة، فضلاً عن التحول البيئي السريع، وثورة بيومناخية. تطورت العديد من البدائل على مدى العقدين الماضيين، حول أنشطة مبتكرة مرتبطة بالسيادة الغذائية، والطاقات المتجددة، وعمليات الترحيل، إلى الانتقال الإيكولوجي في الزراعة والبناء... فالسؤال يطرح عن توسيع هذه القضايا من خلال وضع برنامج بديل تدافع عنه قوى اليسار.

نحن مخدرون من قبل المجهول القادم ونجد صعوبة في تخيل ما لا يمكننا قياسه سواء في حجم أو ضرر الوباء، مثل المحنة التي تعاني منها الروابط الاجتماعية، والعواقب العلائقية للمناخ المثيرة للقلق، والتفاقم الاستثنائي الحاد للتفاوتات الاجتماعية، والانهيال المتسلسل للشركات، والبطالة الهائلة، وانفجار الاقتصادات غير المهيكلة، وتراجع الوصول إلى التعليم، والقائمة طويلة... لذا علينا أن نرى في مرحلة التجريب المعمم للدولة السلطوية، حلقة ضخمة من رأسمالية الكارثة. إن النشر الدائم لأجهزة الشرطة والتقنيات قيد التنفيذ التي تجيز للدول مراقبة واسعة لسكانها. إن الركود الاقتصادي الطويل الذي لا مفر منه سيكون بلا شك موضوعاً دائماً للتبشير بالوحدة الوطنية لتمرير قواعد التقشف بشكل أفضل، والحد من حقوق العمال، وزيادة تهميش العمال في وضعية

الهشاشة والقطاع غير المهيكل، وصولاً إلى الدعوة للتضامن كبديل عن الإخفاقات الخطيرة للدولة سيعطي زريعة وطنية مع تلميحات لكراهية الأجانب.

تعمل الصين على تطوير قوتها الناعمة، وهي التي تساعد دول أوروبية معينة، في حين أعلن الاتحاد الأوروبي، الذي ظل صامتاً في مواجهة ما تعاني منه إيطاليا وإسبانيا، عن استسلامه.

كما ستقوم الصين بتوسيع سوقها عبر الاستحواذ على شركات وأماكن رمزية أوروبية. فإذا كانت الجغرافيا السياسية التي نعرفها بالفعل محتضرة، فليس من المستبعد أن يسود النموذج الصيني غداً.

سيعلمنا هذا الوباء أننا قادرون على الرصانة الطاقية ورصانة الاستهلاك وكذلك التعامل مع المنصات الرقمية.

### • في نظركم ما هي الدروس التي يمكن استخلاصها بالنسبة للمغرب، من هذه الأزمة الصحية؟

بالنسبة للدروس المستفادة من هذا الوباء، أعتقد أنه بالنسبة للمستقبل القريب، ألاحظ أنه :

(1) يجب أن تكون سرعة اتخاذ القرار وتفعيل هيئات عامة فعالة عندما تكون هناك ثقة السلطات في مؤهلاتنا.

(2) إن قدرة صناعتنا الوطنية على التكيف والاستجابة بفعالية للاحتياجات العاجلة الناتجة عن الأزمة هي دليل على نضج خبرتها، وتستحق أن نثق في صناعتنا وأن نتوقف عن الاعتماد على الرأس المال الأجنبي.

(3) القوة الكبيرة التي تشكل الرافعة الهائلة لأفعال التضامن العفوي لجميع المشاركين، والتي يجب تنظيمها على المدى الطويل، وتعبئة الشباب في مجموعات لتوفير المعونات للعائلات،



وإبداع حلول ملموسة، تتجاوز تضامن الأسرة والجيران.

(4) يعلمنا الوباء أن وسائل الدولة يجب أن تركز على سبيل الأولوية لخدمة الناس، فهم الذين يدفعون الضرائب المباشرة وأيضًا هم الذين يستهلكون، فإن الأمر يتعلق بمراجعة النظام الصحي ولم يعد مقبولاً أن يُرتكب الخطأ الجسيم باعتباره تكلفة، ولكن كاستثمار كبير واستراتيجي لأنه يغطي قطاعًا ينتقل من تدريب طاقم التمريض إلى صناعة المعدات الطبية التي يجب إنشاؤها، إلى المنتجات الصيدلانية التي يجب أيضًا تطويرها.

إعادة تأهيل المستشفى العمومي بسياسة استثمارية ضخمة وتعديل كامل لقواعد التدبير الداخلي للمستشفيات العمومية من أجل القضاء على الفساد والتبذير.

(5) اعتماد سياسة عودة لموظفي التمريض المهاجرين، يجب أن يكون أطباءنا وممرضينا وكذلك جميع العاملين في التمريض قادرين على العمل في بلدنا، وأن لا يبقوا مغتربون.

• **عودة الآلة الاقتصادية المتوقفة، برأيك، ما هي الأولويات؟**

منذ البداية، وأنا أشدد على الأهمية القصوى لتناغم وسرعة قرارات أجهزة الدولة

(1) حماية نسيجنا الإنتاجي لإعطائه الوسائل اللازمة وكذلك إجراءات للرفع من إمكانياته، من خلال تقليل الواردات بنسبة 35 بالمئة، خصوصاً الواردات التي تعوق صناعتنا والتي ترهق عملاتنا، بما يسمح لنا بالتحرك نحو الأمن والسيادة الغذائية.

(2) قيام السلطات العمومية بإجراء مترامناً، إعادة تأهيل قوية للخدمات

العامّة، وتعميم الدخل الأساسي الموجود منذ بداية الأزمة.

(3) صناديق للاستثمارات والمرافقة الموجهة لدعم رواد الأعمال الشباب في قطاعات توفير الطاقة والتكنولوجيا الحيوية، لتشمل تخفيضات الطاقة في قطاع البناء، والخدمات اللوجيستية لتعزيز مسارات قصيرة، للزراعة العضوية، والمنافذ التكنولوجية، واقتصاد إعادة تدوير النفايات. **recyclage.**

(4) يجب أن تُستمد موارد تمويل من ضريبة جديدة على الثروة والميراث. وكذلك من خلال إنشاء النقد عبر سياسة غير تقليدية لبنك المغرب، عن طريق التضخم الذي يحتفظ به بنسبة بين 6 و 7 بالمئة، وبنسبة عجز الموازنة بنسبة 10 بالمئة. ولن يكون لدى صندوق النقد الدولي ما يعترض عليه، فهذه هي القرارات الجارية في الدول الأوروبية.

• **قبل ظهور جائحة كورونا أسس الملك لجنة خاصة من أجل إعداد نموذج تنموي جديد، كيف يمكنك تحديد نموذجنا الاقتصادي؟**

يضع الاقتصاد المغربي علامات على كل مربعات النموذج الاستعماري الجديد.

نموذج استعماري جديد يخضع للأسواق الخارجية والطلب الخارجي. إنه يعتمد على الاستثمار الأجنبي المباشر - الاستثمارات الأجنبية المباشرة، هذه هي قضيتنا. كانت الخوصصة لحظة كبيرة للتحوّل الجذري للاقتصاد. وهكذا، من أصل 102 عملية خوصصة، يمثل رأس المال الأجنبي 81 بالمئة ورأس المال الوطني 19 بالمئة. وتم تقليص

تحالف رأس المال الأجنبي مع رأس المال الوطني إلى احتكار القلة القليلة الذي تمتلكه بعض العائلات المغربية.

في وسط هذا النموذج الاستعماري الجديد نجد اقتصاد الربيع، مع أهمية استخراج المعادن، بما في ذلك الفوسفات، والشبكات الاقتصادية مع عائلات زبونية، وشبكة البنوك، والصناعة، والطاقة، والخدمات اللوجستية، الاتصالات والمعادن والفنادق وما إلى ذلك، التي تنتمي إلى القطاعات الاقتصادية والمالية الملكية بينما القطاعات الاقتصادية المستقلة تبقى محدودة بالطلب المحلي، بما في ذلك القطاعات المتعلقة بالإسكان، أما بالنسبة لاقتصادنا الصناعي فهو اقتصاد تجميع فقط.

لقد أدخل صناع القرار السياسيون لدينا مكان رأس المال الوطني في اقتصادنا

• هل في رأيك هذه الجائحة تفرض إعادة النظر في كل خطط عمل اللجنة وأيضا في أولوياتها؟

من جهتي، إذا كانت اللجنة يجب ستستمر، فعليها مراجعة اختصاصاتها وتكوينها.

1) يتعين على اللجنة أن تقوم بتقييم أسباب فشل النموذج المفروض على مدى السنوات العشرين الماضية، أما بالنسبة للاستراتيجيات القطاعية التي تهيم على سياستنا الاقتصادية، فإن الخطأ جد مضاعف.

بداية، تم وضع هذه السياسة، التي يملها الديوان الملكي، من قبل شركات استشارية أجنبية باعت لنا العروض المقدمة إلى دول أخرى، ولا سيما البرازيل.

ثم المفهوم النيوليبرالي للاستراتيجيات القطاعية، التي تعتبر استراتيجية تصدير ضخمة، حيث تكون شروط الاستثمار والربح على حسابنا، في الواقع، دعونا نقرن الاستثمارات العامة التي يتم إجراؤها مع المجموعات الأجنبية والمكتسبة

للبلاد. فمن ناحية، مزايا المجموعات الأجنبية من الأراضي، والإعفاءات الضريبية، وقواعد التحويل، وكل ذلك على حسابنا، ومن ناحية أخرى، أجور موظفي البلد المعينين. لدرجة أنه قبل أربع سنوات، كان أرباب العمل المغاربة، خلال دورة للاتحاد العام لمقاولات المغرب، التي عقدت في الراشدية، ولم يجرؤوا على انتقاد السياسة الملكية، للمطالبة بتمتع المستثمرين المغاربة بنفس المزايا المقدمة للأجانب.

وأخيرا وليس آخرا، لا تجعل الاستراتيجيات القطاعية من إمكانية تحديد مساهمات كل قطاع في قطاع آخر، وبالتالي يجب إطلاق ديناميكية اقتصادية مشتركة بين القطاعات والتي تتميز بها النمو المتكامل.

2) على اللجنة أن تأخذ في الاعتبار الوضع الدولي الجديد.

الانخفاض المخطط له في النقل إلى الخارج ويأخذ في الاعتبار العواقب الاقتصادية والاجتماعية للانخفاض في قطاع الطيران، الذي شهد تطورا كبيرا.

إعطاء الأولوية للشركات الوطنية في الطلبات العمومية. والعودة الأساسية للأمن الغذائي والطاقي.

3) يجب إعادة فتح الاقتصاد بشكل ملموس، مع مراعاة التغير المناخي، مع توفير بوصلة لنقل صناعتنا إلى مرحلة فرص الطاقة المتجددة والتكنولوجيا الحيوية. إنه المكان المناسب لإنشاء مجموعات من رجال الأعمال الشباب عبر التمويل المسبق المواكبة.

4) يجب أن تكون الدولة منتبهة للاحتياجات الاجتماعية. وتوفر الحاجات الاجتماعية، من حيث النقل والصحة والثقافة والتعليم والتكوين، مصادر مهمة للوظائف هذه هي الحاجات الاجتماعية

وتعهد بانخراط كل فرد في الحياة الاجتماعية  
البلد، بدلاً من الشعور بالاستبعاد منه، إلى  
الحريات العامة التي بدونها الحياة الاجتماعية  
مبتورة، وكل تقدم معطوب.

هناك حاجة ملحة لاستعادة ثقة الناس، لا سيما  
من خلال الممارسة الحقيقية للحريات العامة التي  
لا تنفصل عن حرية القيام بالأنشطة الاقتصادية.

للأشخاص التي لها الأسبقية، فهذه بلدهم  
وهم عازمون على الرحيل، لأنه لا يوجد  
مستقبل لوقف هذا النزيف المخزي  
لآلاف من "الحراكة" الشباب، الذين هم  
مستقبل البلاد، من مهندسين وتقنيي  
المعلومات وأطباء.

لقد أصبح من المُلح تسجيل إعادة النظر للجيل  
الجديد من شبابنا، من خلال إعطاء مكانة لنقاط  
القوة المبتكرة للفكر النقدي، وحرية التعبير،

# نور الدين الزاهي: نعيش في زمن الجائحة معركة اليوم الذي يقتل برتابته وتكرارته.

يتحدث السوسيولوجي نور الدين الزاهي في هذا الحوار حول كيف أن «التكبير والتهليل والصلوات والأدعية حق فردي، لكن التحريض بها على الموت الفردي والجماعي جرم أخلاقي، ذاك ما تشبعنا به». وأيضا يوضح كيف وقت الجائحة يدرسنا تجربة أن الموت ليس «ذاتا» وإنما هو موضوع، ذاته المفكرة هي المعرفة العلمية الطبية بكل أسسها العلمية البيولوجية والكيميائية، وليس المعارف الفقهية أو الكنسية. وفاعله الحي هم الفاعلون الاجتماعيون والمدنيون. تعلمنا كذلك أن الإصابة بالفيروس قدر لكن الموت لم تعد قدرا بل أصبحت اختيارا فرديا وجماعيا، للدول والشعوب...»

حاووه: مصطفى الإدريسي

قرار تدبير حياته يوجد تحت سلطة منظمة مدنية (منظمة الصحة العالمية) وليس للمؤسسات السياسية والعسكرية والأمنية سوى دور تنفيذي خطتها وخطط رجالاتها ونسائها، وضمان تنزيلها ماديا وقانونيا وعمليا إن رغبت في ضمان بقائها وبقاء شعوبها. السياسة الآن تدبر كسياسة حيوية بالدرجة الأولى وليس كسياسة للرأسمال. أكبر اقتصادات العالم يعيش الآن «حكرته» أمام «هاته الثورة المضادة» غير المحسوبة وغير المرتقبة وغير العاقلة وغير الناطقة وغير الخاضعة وغير الساكنة... لا موقع سلطة وتحكم لجلالة الكبر والعظمة في الحياة والرأسمال والتكنولوجيا العسكرية.. فالسلطة الآن للأصغر في الصغر وللامرئي داخل الامرئي. نحن كبشرية نحيا الآن خارج التاريخ (وليس الزمن) والأديان، بعيدين عن بلاغة صراع الحضارات، كلنا يعيش اليوم يومه ولا يعرف غده. اليومي الآن هو تاريخنا المشترك. الوباء في شكله الحالي حدث كبير بلغة المؤرخين، شبيه بالحروب والمجاعات والخرابات الكبرى، لذلك فهو يمتلك القدرة على الانتزاع والانتشال. ينتزعنا وينتشلنا جميعنا من تاريخنا الطويل والعريض المشترك والخاص، ليقتذف بنا في اليوم الصغير والضيق والقصير. نعيش كلنا عسر الانتزاع العنيف والمباغت، وكأننا فطمنا قبل الأوان، وبعدها نعيش شتات الانتشار في الوعي والحركة والعلاقات والكلام داخل مرحلة انتقالية قصيرة الأمد. كيف سنعيش؟ كيف سنحيا؟ كيف سنرتب

## • كيف تعيش الحجر الصحي بعد ظهور هذا الوباء الفتاك المستجد، وما هي قراءتك؟

اسمح لي بدءا أن أتحدث ولو قليلا عن الوضعية التي نعيشها جميعا كبشرية. نحن الآن أمام وباء ارتفع إلى مستوى الكارثة البيولوجية (جائحة). وباء لا يعرف أحد مبتدأه ومنتهاه، لا كيف حصل وكيف انتقل و عبر أية وسائل. وباء لا مرئي، سريع الحركة والتنقل والتوسع في الخفاء. هو وباء حامل لجميع خاصيات العولمة. وباء معولم موسوم بالسرعة في التنقل والقدرة الفائقة على عبور الحدود، لا يعرف أي تمييز اجتماعي أو عرقي أو ثقافي أو جغرافي أو جنسي أو عمري في استهداف الناس والإقامة في أجسادهم. وباء مسطح مثل العولمة، استطاع ومازال يفكك ويهدم كل مقومات وأركان وخطابات حضان أمومته (العولمة). فهل يتعلق الأمر بوباء قاتل بمساواته لظلم وتظلمات واستبدادية قيادي النظام العالمي المعولم؟ هل يتعلق الأمر بثورة مضادة للعولمة يقودها فيروس فتاك؟

غير الفيروس المعولم الخطاب حول جغرافية العالم. لا شمال ولا جنوب، بل مناطق موبوءة وأخرى غير موبوءة، دول متخاذلة في سياستها الحيوية ضد الفيروس والأخرى حازمة وحاسمة في خوض فعل مجابهته، مثلما انزاح بالمؤسسات السياسية والدينية إلى منطقة الهامش وجعل المؤسسات العلمية الطبية في المركز. العالم الآن

علاقتنا بالزمن داخل زمن جديد؟ كيف سنرتب  
علاقتنا بالمكان والجسد واللغة والأقارب  
والأصدقاء واللحظات والضرورات الحياتية؟ أسئلة  
الوجود والحياة والموت والخوف والمشاعر والحب  
والكراهية ... تبعث في سيلانها وتدققها المتواتر  
داخل الوعي وفي حركات الجسد. داخل حياة  
الانتقال من يومي تكراري وأليف وروتيني وآمن  
ومنظم واجتماعي واضح .. إلى يومي مغاير مقلق  
وغامض ومخالف، نكتشف أننا محافظون حتى  
العظم وإن كنا من طلائع المناشدين والعاملين على  
التغيير.

يومي الحياة في ظل هذا الوباء المعلوم أصعب وأشد  
على كل المحافظين، وعلى كل من يعتقد أن الموت  
آتية من الزمن القادم (حينما نولد نكون قد كبرنا  
بما فيه الكفاية لكي نموت، مارتن هايدغر). الموت  
ليس قدرا، ومن يحيون اليوم يومه (اليومي)  
يعيشون ذلك. حياة العزل والحجر هي ما يميز  
يومي فيروس كورونا.

الآن ندخل ونلج يومي كورونا، يومي آخر بزمنية  
أخرى تفرض، أينا أم لا، قواعدنا. فالیومي طبقا  
لكل الكبار الذين فكروه (ميشال دي سيرتو،  
مافيزولي، لوفيفر، جورج بلاندي، هايدغر...)،  
سواء كيومي اجتماعي أو يومي حرور أو يومي  
مخيمات .. يمحو الحدث، ويغلف ويقنع ويسكت  
التواريخ الكبرى. إنه، حسب تعبير بلاندي «شاشة  
كبرى تتوسط الفرد والموت، الرمزي والفعلي».   
لذلك يصف نفس المفكر العيش في اليومي «بمعركة  
اليومي». اليومي عادة ما نصفه، مثل فيروس  
كورونا، بكونه قاتل (اليومي يقتل برتابته وتكرارته  
..). نعم إنه يقتل في حالة ما غاب بوصفه «شاشة»  
تتوسط علاقات الفرد بذاته وبالزمن والآخرين.  
نعم إن اليومي يقتل بألفته الأليفة (نألف نفس  
الأمكنة ونفس الأوجه ونفس الطقوس ونفس  
الحركات ونفس السكنات ..) لكن، حسب هايدغر،  
المعرفة تقتل الألفة الأليفة القاتلة.

العيش في يومي الوباء، نحياه جميعا في حجر طبي  
مشترك، وبعضنا يحياه داخل مهنته ومقرات عمله،  
كل في كوخه الفعلي أو البديل. وفي عزلته وسط  
أسرته، إن كان صاحب أسرة، أو وسط أشيائه  
المحيطة به إن كان وحيدا أو وسط زملائه. وكلنا

يخوض معركته اليومية الصغيرة لتأمين مؤونة  
وعاطفة ومشاعر وكلام وحركات العيش اليومي.  
وكلنا يبعث من تحت الرماد «فينيقه» الصغير الملون  
بالرماد كي يبعث مع وبالألفة الجديدة (استهلاك  
الخبر والنكته والفيلم واليوتوب والمكالمات والقراءة  
والبحث والطبخ والأحاديث ..). لا أحد أفضل من  
الآخر، بل نختلف فقط، حسب وضعياتنا،  
ورساميلنا الرمزية، في تدبير معركة اليومي داخل  
فضاءات الحجر.

• ماهي الدروس والعبر التي استخلصتها  
الدولة والمجتمع من هذا الوباء؟ هناك  
مجموعة من الخرافات والبدع والظواهر  
الشاذة التي انمحت داخل المجتمع  
المغربي، ماهي السبل التي يجب اتباعها  
للحيلولة دون عودتها؟

العبور من يومي إلى يومي آخر مغاير يخلخل كل ما  
كان عاديا وساكنا ومستقرا، لدرجة يجعل من  
اليومي الجديد عبارة عن فعل خروج من اليومي  
والعادي إلى «ما فوق اليومي والعادي»، إلى  
«الخارق» extra-ordinaire.»

هذا «المافوق» و«الخارق» لليومي المعتاد هو البعد  
الثقافي الذي يكشف عن اختلافية الأفراد  
والمجتمعات في العبور من يومي إلى آخر، وكذا  
تبرير وتفسير وتأويل عملية الانتقال والعبور تلك .  
في مجتمعنا، والمجتمعات التي نتقاسم معها كثيرا  
من أسسنا الثقافية، اللغوية والدينية والطقوسية  
والقدسية، يبدو العبور خارج أفق اليومي المعتاد  
عبورا نحو «قيام الساعة» ونهاية عالم الدنيا  
واستشراق عالم الآخرة. حينما تهدم قوة الحدث،  
وتجلياته المساوية، الحياة اليومية العادية، وحينما  
لا تكون محفزات علل وجود الحدث كأمنة مدبرة  
من طرف الفاعل البشري، مثلما هو عليه الأمر مع  
الفيروس – الجائحة، يسهل العبور من الاجتماعي  
إلى الميتا- اجتماعي، ومن اليومي إلى الميتا-يومي،  
للتبضع واقتناء كل مشتريات الصلاح(الصلحاء  
والأولياء) والمهدوية (نسبة إلى المهدي المنتظر)  
لخوض معركة قائمة في اليومي.

تقدم مقتنيات وبضائع المتخيل القدسي أفضل  
العروض لزبائننا (بحكم بساطتها وسحريتها) في  
تحقيق الانتصار على كل الجوائح والأزمات كانت

• سقطت مجموعة من المفاهيم والقيم  
أمام جائحة كورونا، وبرز العلم/الطب،  
ماهي قراءتك؟

تتحدث وسائل الإعلام الوطنية في كل العالم عن الوضع الحالي بكونه وضع أزمة، وفي ظلّه يجب الانضباط لكل ما يصدر عن الدول ومؤسساتها، والالتزام بالحجر والتباعد الاجتماعي. كل ذلك لمحاصرة تفش أكثر للفيروس.

نعم، نحن كبشرية في وضع أزمة، لكن الأزمات، وخصوصا من هذا النوع، لا تخلق فقط «التأزمات» والاختناقات والاحتقانات، بل إن أيام يومها تستنهض طاقاتها على التربية والتنشئة المغايرة لأيام اليومي الذي اندحر تحت ظل قوة الحدث. الآن الكل يخوض فرديا أو جماعيا تجربة التربية على التغيير الاجتماعي، سواء تحت ظل الخوف أو الزجر أو الاقتناع والتطوع. تجربة التربية على المساواة وعلى المسؤولية الفردية، وعلى علاقات السلطة المؤسسة على الانضباط عوض القمع، وعلى الفردانية القاتلة للأناية (الفردانية المواطننة)، وعلى العطاء النبيل، وعلى نبذ وحشية الاحتكار، وتوحش الغنى، والتسامح مع القريب والغريب، وعلى ضرورة القراءة، ومتعة الفيلم، والحذر من التهور، والعناية الصحية بالجسد، وتقديم الخدمة من دون مقابل (العطاء النبيل) ... تجربة تظهر أن إمكانيات التغيير الاجتماعي قائمة لدى كل الفئات والمجتمعات. نعم علينا كلنا الانضباط لأمر الحجر الطبي، وعليه سنعيش عزلتنا عن الآخرين، لكن كيف يدبر المجتمع إعادة بنائه للصلوات والروابط الاجتماعية التي لا يمكن لأي مجتمع أن يحيا بدونها، بحكم كونها أس كل وجود اجتماعي؟

تخضع المجالات العمومية لقاعدة التباعد المجالي. (لا أعرف من ابتكر جملة التباعد الاجتماعي لكي يقصد المسافة الجالية؟؟)، فالتباعد الاجتماعي هو تمييز وتمايز اجتماعيين) الأمر الذي لا يعدم إمكانيات التواصل الاجتماعي، لكن في المجال الخاص نحن محجور علينا كأسر.

إننا داخل الأسرة وأصبحنا تحت ظل هذا الحجر نعيش وجها لوجه كجماعة صغيرة. لا تعيش الأسر في يومي كورونا نفس الصلات الاجتماعية التي

فردية أو جماعية، مثلما تؤمن لهم نفسيا على الأقل مراكب النجاة وريح رساميل الدنيا والآخرة.

لا يستوجب الأمر في وضع كهذا من الباحثين، على الأقل، وصم من يستهلكون بضائع مماثلة، بل مراقبة ومتابعة الكيفية التي يستغل فيها هؤلاء الزبناء من طرف «العارفين» الفرادى والتنظيمات الدينية السياسية، لتجيشهم ودفعهم نحو القتل الخاص (إماتة أنفسهم) والقتل العمومي (إماتة الآخرين). يتعلق الأمر في هذا المقام بالتجارة والمتاجرة الرمزية والثقافية في «الموت المقدس».

تدرسنا تجربة هاته الأيام من يومي كورونا أن الموت ليس «ذاتا» وإنما هو موضوع، ذاته المفكرة هي المعرفة العلمية الطبية بكل أسسها العلمية البيولوجية والكيميائية، وليس المعارف الفقهية أو الكنسية، وفاعله الحي هم الفاعلون الاجتماعيون والمدنيون. تعلمنا كذلك أن الإصابة بالفيروس قدر لكن الموت لم تعد قدرا بل أصبحت اختيار فرديا وجماعيا، للدول والشعوب، على الرغم من كل إكراهات عدم العدل الحاصل في خوض معركة اليومي ضده بين مكونات البشرية جمعاء. التكبير والتهليل والصلوات والأدعية حق فردي، لكن التحريض بها على الموت الفردي والجماعي جرم أخلاقي. ذلك ما تشبعنا به يوما بعد يوم تجربة العيش في يومي فيروس كورونا. السعي وراء المعلومة العلمية الطبية وتعميمها فرديا وإعلاميا، تجربة التملك الجماهيري الواسع للمعرفة الطبية العلمية لم نعشها من قبل، مثلما لم نعش كبشرية جمعاء تحت ظل سلطة منظمة مدنية واحدة، يقودها عالم إفريقي من إثيوبيا، بلد الألف وجع والألف وباء.

سؤالنا وسؤال العالم الآن هو العلم ومنجزاته، والعلم لا يمكن إنتاجه وغرسه خارج مجال التربية والتعليم، مثلما لا يمكن غرس التربية والتعليم في مجالات اجتماعية مهترئة وسياقات سياسية عمياء. يبرز المدني سلطان فعاليته الآن في استمرارية الحياة، مثلما تبرز جلالته الاجتماعي في ترسيخ استمرارية العيش المشترك، عبر تلاقح المسؤولية الفردية والجماعية على الذات والذوات الأخرى.

كانت عليها قبل ذلك. إنها صلات مغايرة من حيث تقسيم العمل، واقتسام المسؤوليات وتشارك القرارات وتبادل المحكيات وتديير النزاعات والضغوطات ودمقرطة توزيع الفضاءات .. وهي بالموازاة مع كل ذلك مدرسة بالمعنى الكامل للمدرسة ( تتعلم الأسر الآن مع أبنائها وفي نفس الآن تراجع صورتها عن القيمة الاجتماعية للمدرسة . فالمدرسة لا تعلم فقط بل تتقاسم مع الأسرة زمنها الاجتماعي وعبئها التربوي). الأسرة هي حضان ترسيخ وتثبيت أو تجديد وتغيير الروابط الاجتماعية، و في ظل استضافتها للمدرسة فإن فعاليتها التربوية في فعل إعادة صياغة الروابط الاجتماعية ستكون أكثر ارتفاعا ونجاحا . تعيش الأسر الحالية خارج القبيلة وطقوسها، والقبيلة ليست لا بالنموذج المثالي ولا الوحيد للصلات والروابط الاجتماعية، وتتعود يوما بعد يوم على الاكتفاء بأفرادها وتديير حاجياتها وتنظيم تواصلاتها مع الأقارب، وهو ما يجعلها تعيش تجربة قيمية واجتماعية مغايرة سيصعب عليها بعدها التخلي عنها نهائيا وكذا استدماجها كليا، على اعتبار أنها ستغادر سلطان عشها الصغير لتجد نفسها في فضاء المجتمع الواسع. هو المآزق الذي يفترض تفكيره جديا وجماعيا بعد هاته التجربة بكل دراميتها وآفاقها ومكتسباتها. فلحظات هاته الأزمة المغايرة قد تفتح أبواب ممارسة التغيير بكل عفوية وتقدير.

#### • عاد بقوة مفهوم المواطنة والتضامن والتماسك وضمحلل الغنى الفاحش والأنايات الفردية؟

يحكي عالم الاجتماع الفرنسي المميز مارسيل ماوس في بحث له عن «الهبّة» كيف كانت المجتمعات الأولية تقاوم انبعاث التمايزات والفوارق الاجتماعية داخل كياناتها الناتجة عن تراكم الثروة واحتكار الثروات. وكان أن اكتشف داخل الممارسات الاجتماعية لهاته الجماعات ما نعته وسماه «بالإنفاق النبيل». الإنفاق النبيل أساسه الهبة أو «الهدية» أو العطية «الصغيرة أو الكبيرة الخاضعة لقاعدة الحرية في العطاء دون انتظار المقابل أو الرد وكذا الإلزام في الرد عليها بهبة مقابلة من طرف من تلقاها .

حرية العطاء والإلزام الأخلاقي في الرد قواعد تجعل الثروة تتحرك وتداول داخل الجماعة والتضامانات تحافظ على قوتها، والتفاوتات الاجتماعية تتأسس من دون أن تفقد قواعدها الأخلاقية.

قواعد أخلاقية تمنع توحش الربح والرأسمال والاحتكار .. وتشجع لتقديم الخدمة للآخرين من دون أن يكون هنالك مقابل. هو ذا ما تتقشع غيمته في ظل يومي كورونا، ونراه في مجتمعا ونسمع عنه في كل العالم. «إننا أمواج متعددة في بحر واحد»، وبناء عليه أصبحت تطرح ضرورة فعل الإنفاق النبيل « على كل الدول المالكة للثروة والعلم والتقنية والإمكانات البشرية المتخصصة . إنفاق المعلومة والتجربة والهبات لتفادي غرق العالم بكل بشريته. الإنفاق النبيل لم يعد جملة لمارسيل ماوس بل حركات اجتماعية وجموعية عالمية ومحلية تهب تجاربها ووقتها وإمكاناتها، وترافع لأجل ترسيخه، والآن بدا أن على الدول أن تتخبط في مسارهاته الحركات، وقد لاح انخراط الكثير من الدول والأثرياء والشركات في هذا الفعل منذ أيام. الإنفاق النبيل ممارسة اجتماعية مواطنة، موسومة بالتطوع والهبة والعطاء والخدمة التي لا تخضع لمنطق سوق الاقتصاد والمال. ممارسة جعلتنا تجربة يومي كورونا نراها هنا وهناك في بلدنا. بدءا برجال ونساء الصحة والتعليم والنظافة وقطاعات أخرى (أقول هذا لأن كل هؤلاء يشتغلون الآن كموظفين فعلا وكأجراء لكن بجهد مهني وعاطفي وجسدي مضاعف وبنفس الرواتب)، وانتقالا إلى مقاولين وأفراد يهبون خدماتهم وممتلكاتهم الخاصة لتدعيم الفعل الجماعي في مواجهة معركة يومي الوباء. شباب يتطوع لتقديم خدمة السخرة لمن يعجزون عن التنقل، وآخرون يجمعون مؤونة القفة أو يتفقدون ساكنة أحيائهم من المسنين. وقتيات يهين أنفسهن للحجر الطبي في معاملهن كي يضاعفن من إنتاج الكمادات الطبية، وآخرون يهبون أنفسهم للحجر الطبي داخل السجون...

إنه منطق الإنفاق النبيل والذي رفعت درجته تجربة العيش في يومي الوباء كي يصبح مرثيا أكثر، ومعه درجات الأمل ليس فقط في محاصرة الوباء

وإذا ما كان الأطباء يوصوننا بالانضباط واحترام الحجر الطبي والمسافة المجالية بوصفها المداخل الكبرى لكل شفاء عضوي فإننا نضيف إلى ذلك، من باب التكامل وليس التعارض، كون الإنفاق النبيل والتربية على التغيير الاجتماعي والفردانية المواطنة وإعادة بناء الروابط الاجتماعية خارج منطق القبيلة والتسلط وتوحش الرأسمال تشكل المداخل الكبرى للخروج الاجتماعي من يومي كورونا، وخلق الحدث الاجتماعي الذي بإمكانه محور زمنية يومي الوباء.

البيولوجي بل في الانخراط داخل تجربة التربية على التغيير الاجتماعي الجماعي. في علم الاجتماع نقول، ليس المرض من يقتل بل المجتمع، ومعنى القول إن الأمراض مهما ارتفعت درجات مخاطرها وتتنوع طبائعها تبقى في نهاية الأمر ظواهر اجتماعية معقدة ومركبة، أو بلغة مارسيل ماوس ظواهر اجتماعية كلية. الأمراض قد تقتل لكن الوصم قد يكون قتله أشد، الحجر الطبي يفترض العزل الطبي المميت نفسيا لكن العزل الاجتماعي قد يكون موته أقسى وأشد. العلاج العضوي قد يحصل لكن في غياب سياق اجتماعي يحتضنه تنتفي فعاليته وديمومته.



## كمال لحبيب: التراجعات الحقوقية في زمن الوباء وتأثير الجائحة على النموذج النيوليبرالي.



في هذا الحوار يتحدث كمال لحبيب، الفاعل الحقوقي والسياسي، عن التراجعات الحقوقية في زمن الوباء، وكذلك عن عودة التحكم الإداري والأمني، وأيضا نقف معه بصفته مؤسسا

للمرصد المغربي للسجون وعضو مجلسه الإداري، عن مشكل الاكتضاض في السجون في وقت الوباء وعن المقترحات التي تهدف إلى حماية السجناء من العدوى، وكذلك عن ضرورة انفراج سياسي بإطلاق سراح معتقلي الرأي والحركات الاجتماعية، وكيف يمكن أن يؤثر الوباء الحالي عن النموذج النيوليبرالي الذي يهدف إلى تفويض أو خصوصية قطاعات حيوية مثل الصحة والتعليم.

حاوره: محمد سموني

هل يمكن في رأيك أن تقوم الإجراءات الاستثنائية التي منحت للسلطات العمومية بتعثر شيء اسمه «عملية الديمقراطية» بعودة تحكم الإداري في السياسي؟

التحكم الإداري أمر واقع. إن الجديد في الأمر هو أن القطاع الأمني، مع الحملة الواسعة حول تحسين صورة الأمن وأن الأمن في خدمة سلامة المواطنين، والدعم الشعبي الذي واكب - على الأقل في الأسابيع الأولى للحجر- الإجراءات الأمنية، اعتبر خطأ - أن الظروف أصبحت مؤاتية لتقوية موقعه التحكمي، كما لا ننسى أن التطبيق على الهواتف النقالة الذي تستخدمه الإدارة العامة للأمن الوطني لم يثر أي نقاش، بالرغم من المخاوف حول احترام المعطيات الشخصية . نحن اليوم في وضعية يهيمن عليها الأمن والمحاكم بشكل قانوني وبمصادقة البرلمان. هذه هي الديمقراطية الليبرالية .

دقت مجموعة من المنظمات الحقوقية والدولية ناقوس الخطر فيما يتعلق بالسجناء، مع إزدياد خطر العدوى بكورونا في السجون، هل في رأيك

منذ اقتراح وزير العدل لمشروع قانون 20,22، الذي وصف بمشروع قانون «التكميم»، وهناك تخوفات من قبل النسيج الحقوقي من تراجعات عن الحقوق والحريات المكتسبة دستوريا، ما هو موقفك من برمجة مشروع قانون مثل هذا فجائيا في زمن الطوارئ الصحية؟

لم نعد أمام « تخوفات »، نحن في وضع أصبحت فيه التراجعات عن الحقوق أمرا واقعا وذلك قبل إصدار قانون الطوارئ الصحية. والمشروع الحالي يندرج في هذا السياق إذ يرجع النقاش حوله إلى سنة 2018 بعد حملة مقاطعة بعض البضائع . طبعا اعتقدت الحكومة أمام تنامي الأخبار الزائفة في هذه الفترة أن الظروف مؤاتية لتمرير المشروع في ظل ظروف حالة الطوارئ .

السؤال المطروح هو كيف نفسر تراجع الوزراء عن مشروع صادقوا عليه من قبل؟ هل هذا التراجع هو نتيجة الحملة ضده؟ هل راجع إلى عدم الاستشارة مع قواعد الأحزاب المشكلة للأغلبية؟ وهل تسريب هذا المشروع يهدف إلى تصفية حسابات سياسية داخل الأغلبية؟

## حان الوقت لإعادة النظر في المقاربة السجنية عامة داخل منظومة العدالة؟

أظن أن أمر السجون والسجناء أمر خطير، وأنا من المؤسسين للمرصد المغربي للسجون وعضو في مجلسه الإداري من سنة 1999. إن المرصد كل سنة يدق ناقوس الخطر وطبعا مع تفشي الوباء أخذ المرصد مجموعة مبادرات واعتبر، وذلك قبل كارثة سجن ورزازات أن هناك استعجال لإطلاق سراح معتقلي الرأي ومعتقلي الحركات الاجتماعية، وتقدم بعدة مقترحات من أجل إطلاق سراح عدد كبير من السجناء دون أن يترتب على ذلك مخاطر أمنية، كما ساهم من الناحية الإنسانية لإمداد بعض السجناء بمساعدات مادية. والكل يعلم أن الاكتضاض من أكبر أسباب تفشي الأمراض، وهو مساس بكرامة السجناء وضرب لكل المقاييس المتعامل بها على الصعيد الدولي. كما اقترح المرصد عدة إجراءات لمراجعة السياسات العقابية واقتراحات لتعديل القانون الجنائي والمسطرة الجنائية وتقدم باقتراحات للعقوبات البديلة .

لنذكر بخطاب رئاسة النيابة العامة ووزير الداخلية مؤكدين بانهما سيتعاملان بكل صرامة وحزم ضد المخالفين لإجراءات حالة الطوارئ فكان لتوجههما حملات الاعتقالات استهدفت ما يفوق 80 ألف مواطن أحييت المئات منهم في حالة اعتقال على المحاكم مما أدى إلى اختناق بالسجون ووفر البيئة المناسبة لانتشار كورونا بين النزلاء وأطر العديد من المؤسسات السجنية .

## أيضا فيما يهم سجناء الرأي والسياسة، ألم يحن وقت مصالحة سياسية لحل مشكل معتقلي الرأي وكذلك معتقلي حراك الريف؟

منذ اندلاع حركة 20 فبراير وخلال انتفاضة الريف وجرداة، وعدة مناطق من المغرب المهمش، وبمناسبة الانتخابات التشريعية أو المحلية والحركة الحقوقية والمثقفين وبعض رجال الأعمال ووجوه سياسية يطالبون الدولة بإعادة الثقة في المؤسسات وشن مسلسل للتصالح بين الدولة والمجتمع بإطلاق

## سراح معتقلي الرأي ومعتقلي الحركات الاجتماعية .

فلماذا الدولة لا تعير اهتمام لهذه الأصوات؟

— أظهرت الحالة الوبائية، عالميا، سقوط نموذج الدولة التي تفوض قطاعاتها الحيوية (الصحة، التعليم...) هل يجعل هذا تفكيرنا في نموذج تنموي جديد يأخذ مسارا يأخذ بعين الاعتبار نموذج « الدولة الاجتماعية »؟

الحالة الوبائية عرّت عن عيوب النموذج الحالي المبني أساسا على تفويض وخصوصية القطاعات الأساسية مثل التعليم والصحة وهذا على الصعيد الدولي. ولكن الحالة الوبائية لم تسقط هذا النظام النيو ليبرالي. لنتذكر أننا ظننا أن هذا النموذج التتموي سيندحر مع أزمة 2008 .

إن له قدرة هائلة على التكيف والانتعاش .

أنا شخصا معتقد أن الوباء سيكون له تأثير قوي على نقاشات وخلصات اللجنة حول النموذج التتموي ولكن دون قوة سياسية لتبني الخصاصات والدفاع عنها وتفعيلها، وستعود الوضعية إلى حالها السابق مع بعض الإجراءات لتفادي انفجار الحركات الاجتماعية جراء التأثير السلبي للجائحة على الأوضاع الاجتماعية .

أظن أننا في حاجة إلى بناء قوة «حركة سياسية جديدة، لا تعني حزبا جديدا، مبنية على عرض سياسي جديد، وخطاب جديد يراعي التحولات المجتمعية لا سيما عند الشباب، وكذلك فلسفة تنظيمية جديدة تقطع مع إرث ما سمي بالمركزية الديمقراطية. هذا علما أن الانتخابات ليست هي الديمقراطية ولكنها عنصر أساسي في البناء الديمقراطي ليس فحسب ضرورة إعادة النظر في المشاركة السياسية (المقاطعة ليست حلا) ولكن كذلك في ضرورة تقوية الديمقراطية التشاركية وتقوية السلطة المحلية، بما في ذلك تقوية نموذج اقتصادي جديد تضامني واجتماعي.

# يوسف أولهوط: الحجر غير كاف بدون فحوصات مكثفة.. والدراسات المنجزة حول الكلوروكين فيها عدة نواقص منهجية.

في حديث لموقع *l* مع يوسف أولهوط، الباحث في علم الأوبئة وعلم إحصاء الأحياء، أستاذ باحث بجامعة ماساشوسيتس وبمدرسة الصحة العامة بجامعة هارفارد (أمريكا)، يشرح نقائص الدراسات والتجارب السريرية التي أنجزت إلى الآن، في كل من فرنسا والصين، رأيه في عدم نجاعة اتخاذ قرار الحجر الصحي دون مواكبة ذلك بإجراء فحوصات مكثفة ومستهدفة... وكيف يمكن للمغرب ودول أخرى محاربة فيروس كورونا على المدى المتوسط والبعيد ..

محمد سموني

## نواقص منهجية في الدراسات الحالية

بالتحليل الإحصائي وإدخالهم في نموذج الدراسة، والدراسة الفرنسية لم تقم بأي من الأمرين .  
في طبيعة الحال كلنا ننشئ بالأمل، يوضح الباحث في علم إحصاء الأحياء، فلا يعني أن الدراسات المنجزة ضعيفة منهجيا، أن الكلوروكين ليس حلا، بل أن الدراسة لا تبرهن بأن الكلوروكين سيكون حلا لشفاء المرضى بوباء كورونا، بالإضافة إلى أربعة أدوية أخرى يتم فحصها حاليا من أجل إيجاد عقار يمكنه علاج فيروس الكوفيد - 19، في كل من فرنسا وأمريكا وأيضا دراسة كبرى تقوم بها المنظمة العالمية للصحة من أجل فحص فعالية 4 أدوية .

من خلال هذه التجارب يمكن أن يظهر الدواء الأكثر فعالية، يوضح دائما أولهوط، وفي ذلك الوقت يمكن أن تتوقف الدراسات السريرية ويتم منح الدواء الأكثر فعالية للمرضى بفيروس كوفيد-19، لأنه في ذلك الوقت من غير الأخلاقي أن لا تعطي الدواء الفعال للمرضى حتى اكتمال جميع الدراسات والتجارب .

أما بالنسبة لاعتماد المغرب على الكلوروكين والهيدروكسي كلوروكين في البروتوكول العلاجي للمصابين بفيروس كورونا، يوضح أولهوط، فيمكن أن يكون جاء من خلال المعطيات الميدانية للحالة الصحية للمصابين بفيروس كورونا، كما أن استعمال هذا الدواء من عدمه هو من اختصاص الطبيب وعلاقته مع المريض، وذلك من خلال المبدأ الطبي الأساسي بكون أنه لا يوجد أي بديل ناجح، وبالتالي رغم غياب المعطيات يمكن للطبيب في علاقته مع المرضى أن يستعمل هذا الدواء، بدون أن يكون أي بروتوكول خاص بذلك. وذكر أولهوط في سياق حديثه عن استعمال دواء الكلوروكين، هذا

التجربة السريرية الوحيدة التي أجريت إلى غاية أمس (أجري الحديث يوم الأربعاء 25 مارس 2020 على الساعة الثالثة و49 دقيقة زوالا)، هي التجربة التي أجريت من قبل فريق ديدبي راوولت بفرنسا. يوضح يوسف أولهوط الباحث في علم الأوبئة وعلم الإحصاء، أن التجربة التي قامت بها الصين كانت على الخلايا وليس على الإنسان، وأيضا مقال في جريدة علمية. التجربة الكلينيكية الثانية ظهرت اليوم الأربعاء في الصين باللغة الصينية، و فقط ملخصها Abstract هو الذي نشر باللغة الإنجليزية، ورأيي كمتخصص في منهجية دراسات علم الأوبئة فإن تجربتي الصين وفرنسا السريريتين ضعيفتين جدا، بل إن الدراسة المنجزة بفرنسا (ديدبي راوولت) يمكن أن تكون نموذجا لدراسة نقائص الأبحاث المتخصصة في علم الأوبئة على الأدوية . فالدراسة التي أجريت من قبل ديدبي راوولت وفريقه، حسب أولهوط، يتخللها إشكال منهجي أساسي: وهو أن التجربة السريرية التي تقوم بفحص دواء معين يجب أن تكون المجموعتين المعتمدتين فيها متشابهتين في العديد من الخصائص، سواء المجموعة التي قدم لها الدواء أو المجموعة التي لم يمنح لها الدواء الذي يتم اختباره، وذلك بتشابهها في السن، الجنس وأيضا الشحنات الفيروسية... les charges virales. وذلك من أجل الخروج بخلاصة أن الدواء هو من قام بشفاء المريض وليس أي متغير آخر ساهم في تغير النتيجة النهائية. موضحا أن هذه المتغيرات يكمن تحديدها سواء في بداية الدراسة عند اختيار المجموعتين التي ستشملها الدراسة ويجب أن يكونا متشابهتين، أو في الأخير عندما تقوم

كله لا يعني أن الكلوروكين ليس فعالا ولكن أذكر أيضا بأنه لا توجد أي دراسة سريرية محكمة تؤكد أن الكلوروكين أيضا فعال في شفاء المصابين بفيروس الكوفيد - 19 .

### الحجر غير كاف بدون فحوصات مكثفة

الحجر الصحي غير كاف وهذا واضح من خلال النماذج الدولية التي نرى في دول أخرى وأيضا من خلال تصريح منظمة الصحة العالمية التي تؤكد أنه يجب أن القيام بفحوصات واسعة، يوضح يوسف أولهوط، من خلال إقامة فحص مكثف ومستهدف، بمعنى أنه عندما نجد حالة ضروري أن نقوم بفحص جميع الناس الذين كانوا على تواصل مع تلك الحالة، والناس الذين ثبت حملهم للفيروس يجب عزلهم وأفراد الأسرة تتم وضعهم، ولو عدم ظهور إيجابية الفحص، في الحجر الصحي إلخ ...

فبدون إجراء الفحوصات المكثفة والمستهدفة، يشرح الباحث المتخصص في النمذجة في علم الأوبئة، تقوم فقط ببيع الوقت من أجل عدم الوصول إلى ذروة الإصابات بالفيروس، حتى ظهور دواء أو لقاح معين، وأيضا الاستعداد، و التسلح لمواجهة هذا الفيروس، وذلك من خلال: إنشاء مراكز منتجة لهذه الفحوصات: وهنا نتحدث عن فحوصات الكشف عن وجود الفيروس من جهة، وأيضا من جهة أخرى عن الفحوصات التي تكشف عن الأشخاص الذين أصيبوا بالفيروس وشكلوا مناعة ضده دون أن تظهر عليهم أي أعراض (وهذه الفئة تشكل أزيد من 50 بالمائة من العدد الحقيقي للمصابين بالفيروس)، يضيف أولهوط، أن بالفحص الثاني سنكشف عن الناس الذين تشكلت عندهم مناعة ضد فيروس كورونا والذي يجب أن يخرجوا من الحجر المنزلي إلى الشارع، على الرغم من أننا لن يكون لنا جواب هل

هذه المناعة ستكون قصيرة أو طويلة الأمد، فهذا هو المستقبل لمواجهة فيروس كورونا، يضيف أولهوط، فيجب أن نستعد له من هنا أربعة أشهر أو حتى سنة خصوصا أننا لا نعرف هل هذا الفيروس سيعود أو سيصبح فيروسا موسميا .

فطالما لا يوجد لقاح يجب علينا أن نستعد بالإمكانات الموجودة، يوضح يوسف أولهوط، وهنا يطرح مجموعة من الأسئلة الأخرى حول ما تتوفر عليه الآن في المغرب؟ هل عندنا شركات مختصة في صناعة فحوصات المناعة؟ وإن لم تكن فيجب منح الإمكانيات لتأسيس مختبرات أو شركات مختصة في صناعة هذا النوع من الفحوصات.

فمثل هذه الأزمات، يضيف أولهوط دائما، تقوم بتعرية نقائص المنظومات المجتمعية في العالم بأكمله، وبالتالي تعري عن فشل الأنظمة الرأسمالية بشكل عام، فإذا نظرنا إلى عدد أسرة المستشفيات فالمعطيات تظهر أنها في تراجع في العالم بأكمله، وذلك لأن العالم كان يفكر في المستشفيات بمنطق الفنادق، أي أنه لا يجب تأسيس مستشفى ويبقى فارغا .

فالعدد الحقيقي لعدد المصابين بفيروس كورونا أكيد هو أكبر بكثير من الأرقام المعلنة في العالم بأكمله، يوضح أولهوط، فهذه مسلمة الآن، وبدون إجراء فحوصات

مناعائية tests immunitaires لا يمكن أن نعرف العدد الحقيقي للمصابين بالفيروس، سواء الذين ظهرت عليهم أعراض المرض أو الذين شكلوا مناعتهم ضد الفيروس دون أن تظهر عليهم أعراضه .

فتقدير علماء الأوبئة، اليوم من خلال الاشتغال على النموذج الإيطالي يوضح أولهوط، هو أن الفرق بين العدد المعلن والعدد الحقيقي يمكن أن يكون بزيادة 10 مرات أكثر .



mupresse.com

ISSN : 2658-8102

ملف الصحافة عدد: 29/ص/2019

لمتابعة المزيد:

